دور قبيلة بجيلة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية في صدر الإسلام

أ.د.جاسم صكبان علي*

سميت هذه القبيلة باسم أمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة[١]. ولكن أصلهم مختلف فيه؛ فعلى رأي المسعودي فإن منهم من ألحقهم باليمن ومنهم من قال أنهم من ولد أنمار بن نزار بن ربيعة[٢] ويحاول اليعقوبي أن يوفق بين الروايتين فيقول أن أنماراً تزوج امرأة من اليمن وأن من أبنائه بجيلة وخثعم نسبوا إلى اليمن فقط من خلال أمهم إذ يقول (فأما أنمار بن نزار فإنه تزوج في اليمن فانتسب ولده إلى الخؤلة فمنهم بجيلة وخثعم ولم يخرج من ولد نزار غيرهم)[٣]. وإذا ما عرفنا أن النسب عند العرب هو من جهة الأب وليس من جهة الأم اتضح لنا عدم أهمية هذه الرواية. ويذكر لنا بن منظور الروايتين السابقتين إذ يقول (وبجيلة قبيلة من اليمن والنسبة إليهم بجلي... ويقال أنهم من معد لأن نزار من معد ولد مضر وربيعة وأياداً وأنماراً ثم أن أنماراً ولد بجيلة وخثعم فصاروا باليمن ألا ترى أن جريراً نافر رجلاً من اليمن إلى الأقرع بن حابس حكيم العرب فقال:

يـا أقـرعُ بـن حـابس يـا أقـرعُ! إنـك إن يصـرع أخـوك تصـرع

فجعل نفسه له أخاً وهو معدي...)[٤].

وهناك الكثير من الروايات التاريخية التي تؤكد على يمانية بجيلة منها: قول الرسول (ص) مخاطباً جرير بن عبد الله البجلي: (إنك من خير ذي يمن)[٥]. وقال الرسول (ص) مخاطباً جلساءه وعنده جرير بن عبد الله (يطلع عليكم من هذا الفج خير ذي يمن)[٦]. وعندما بعث الرسول (ص) جرير بن عبد الله البجلي لتهديم ذي الخلصة -بيت لخثعم كانت تعبده في الجاهلية يسمى كعبة اليمانية- بيت كان فيه صنم لدوس وخثعم وبجيلة فخرج في مائة وخمسين راكباً فحرقوها: (فبرك النبي على أحمس –فرع من بجيلة- وخيلها)[٧]. وروى المبرد أن (بجيلة قبيلة من بني الهجيم من اليمن)[٨]. وروى الطبري أن الشاعر يحيى بن نوفل مدح جرير بن عبد الله البجلي فقال:[٩]

جريـر مـن ذي يمـن أصـيل كـريم الأصـل ذو خطـر كبيـر

وكان خالد بن عبد الله القسري –من بجيلة- في بلاط هشام بن عبد الملك يذكر طاعة أهل اليمن الذين ينتمي إليهم[١٠]. وعندما تعصب أسد بن عبد الله القسري، من بجيلة، خطب مرة وهاجم نصر بن سيار ونفر معه من مضر فقال من جملة ما قال (... اللهم فرّق بيني وبينهم وأخرجني إلى مهاجري ووطني... أمير المؤمنين خالي وخالد بن عبد الله أخي ومعي اثنا عشر ألف سيف يمان)[١١]. وقد عد المبرد جرير بن عبد الله البجلي من الذين فيهم سبب من اليمانية[١٢]. وسترد أدلة أخرى في ثنايا هذا البحث تؤكد على يمانية بجيلة.

من الباحثين الذين وضعوا بجيلة في قائمة اليمانية ناجي حسن[١٣]. لكن يوليوس فلهاوزن[١٤] وشعبان[١٥] يشككان في انتساب هذه القبيلة إلى مضر أو اليمن. وهم يعتمدون على مجموعة من المصادر الأولية التي أشاروا إليها في هوامش كتابيهما.

ولعل محاولة إبعاد قبيلة بجيلة عن نسب اليمن يعود إلى الصراع بين القبائل اليمانية والمضرية عند ظهور الإسلام؛ فقد كانت القبائل المضرية تفتخر بأن الرسول (ص) منها ولها الفضل الأكبر في نشر الإسلام، وحاولت أن تقلل من دور أهل اليمن، الذين تنتمي إليهم بجيلة، في نشر الإسلام. فعمل رواة مضر على جعل بجيلة مضرية وليست يمانية نظراً لدورها المهم والفعال في تحرير العراق، كما سنرى فيما بعد.

كانت بلاد بجيلة قبل الإسلام في سروات اليمن والحجاز إلى تبالة[١٦]. وقد مزقت الخلافات الداخلية قبل الإسلام هذه القبيلة ونزلت مرتبتها حتى لم يعد لها شأن ولم يرتفع أمرها من جديد إلا بعد الإسلام والدليل على تمزقها وضعفها قبل الإسلام أن رجلاً من الأزد ثم من بارق واسمه عرفجة، كان قد اعتزل قومه لأن الشر تفاقم فيهم، وأحبوا الدماء ووتر بعضهم بعضاً فكان في جديلة من بجيلة، فسادهم وقادهم، لكنهم حفظوا له لأمر دار بينهم وبين دهاقينهم فحسدوه وكرهوه ورفضوا الخضوع له في الإسلام وذلك عندما جعله عمر (رض) عليهم[١٧]. إن هذا البحث محاولة لبيان دور بجيلة في التاريخ العربي الإسلامي في صدر الإسلام.

روى ابن هشام أن وفداً من قيس كبة –قبيلة من بجيلة- قدموا على الرسول (ص) فتمرضوا إذ أصابهم مرض الطحال فقال لهم رسول الله (ص) (لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها، فخرجوا إليها، فلما صحوا وانطوت بطونهم، عدوا على راعي رسول الله (ص) بشار فذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه واستاقوا اللقاح. فبعث الرسول (ص) في آثارهم كرز بن جابر فلحقهم، فأتى بهم رسول الله (ص) من مرجعه من غزوة ذي قرد، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم)[١٨].

* جامعة بغداد – كلية التربية للبنات – قسم التاريخ

ويبدو من هذه الرواية بأنهم لم يؤمنوا بل أسلموا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، بدليل اعتدائهم على راعي غنم الرسول (ص) يضاف إلى ذلك فإنهم في الأعم الأغلب كانوا من الأعراب الذين طبعوا على التمرد والسلب والاعتداء نتيجة لقساوة الحياة التي يعيشونها والتي جعلتهم يحقدون على سكان المدن والحواضر.

ويعد جرير بن عبد الله البجلي النموذج الجيد لقبيلة بجيلة، فقد قدم على الرسول (ص) سنة ١٠هـ مسلماً وبعثه الرسول في السنة نفسها إلى ذي الخلصة فهدمها[١٩]. وفي سنة ١١هـ بعثه الرسول إلى ذي الكلاع وذي ظِلِم[٢٠].

وصفت المصادر جرير بن عبد الله البجلي بأنه كان صبيح الوجه جميلاً قال الرسول فيه (كأن على وجهه مسحة ملك)[٢١]. وكان عمر بن الخطاب (رض) يقول فيه (جرير يوسف هذه الأمة)[٢٢] وكان طويلاً يفتل في ذروة البعير من طوله، وكانت نفله ذراعاً وكان يخضب لحيته بالزعفران في الليل ويغسلها إذا أصبح فتخرج مثل لون التبر. أما نسبه فهو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نضر بن ثعلب بن جشم بن عويف بن حرب بن علي بن مالك بن سعد بن بدير بن قسر –واسمه ملك- بن عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن زيد بن كهلان[٢٣].

وكان الرسول (ص) يهتم به ويوجهه في أصول الكلام ونظراً لمحبته له، فقد قال الرسول (ص) له: (يا جرير إذا قلت فأوجز وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف)[٢٤]. وفي الحديث أن الرسول (ص) أكرم جرير لما ورد عليه ليعلن إسلامه في سنة ١٠هـ فبسط له رداءه وعممه بيده وقال (إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه)[٢٥]. وقال جرير واصفاً حب الرسول (ص) له (ما حجبني رسول الله عنه منذ أسلمت ولا رآني قط إلا ضحك وتبسم)[٢٦]. وبعثه الرسول سنة ١٠هـ إلى ذي الخلصة فهدمها[٢٧]. وبعد سنة بعثه إلى ذي الكلاع وذي ظلم[٢٨].

وفي سنة ١١هـ أمره أبو بكر (رض) أن يدعو قومه الذين ثبتوا على الإسلام. وأمره أن يأتي خثعم فيقاتل من خرج غضباً لذي الخلصة ومن أراد إعادته ثم وجهه إلى نجران فأقام بها انتظاراً لأمر أبي بكر[٢٩] وقد كان أبو بكر قد ولاه قتال أهل غمان في نفر وأقفله حينما غزا في البحر[٣٠]. وعندما كان خالد بناحية اليمامة مده أبو بكر بجرير بن عبد الله البجلي. وواقع صاحب المذار بأمر خالد[٣١].

وعن مشايخ أهل الأنبار (أنهم صالحوا في خلافة عمر رحمه الله في طسوجهم على أربعمائة ألف عباءة قطوانية في كل سنة وتولى الصلح جرير بن عبد الله البجلي... وفتح جرير بوازيج الأنبار وبها قوم من مواليه)[٣٢] ولا يُذكر دور بجيلة مع جرير بن عبد الله في هذه المجهودات الجهادية، ويبدو أن ذلك كان قبل أن يجمعهم عمر بن الخطاب (رض) تحت رئاسته.

وبعد انتصار خالد بن الوليد على الفرس في بانقيا، بعث جرير بن عبد الله إلى قرية بالسواد، فلما اقتحم جرير الفرات ليعبر إلى أهل بانقيا ناداه دهقانها صلوبا: لا تعبر أنا أعبر إليك، فعبر إليه فصالحه على مثل ما صالح عليه أهل بانقيا –جزية ثمانين ألف درهم- وأعطى الجزية وصالحه أهل مارسوما وما حولها من القرى على ما صالحه أهل الحيرة –أداء الجزية بمقدار ٦٠ ألف-[٣٣].

ويفهم من الطبري أن جرير بن عبد الله قد اشترك في فتح العراق مع خالد بن الوليد. وكان جرير قد استأذن خالداً هو وحنظلة بن الربيع ونفر، فأذن لهم، فقدموا على أبي بكر، وذكر جرير حاجته لأبي بكر فقال له: أعلى حالنا وأخرّه بها، فلما ولي عمر (رض) دعاه بالبينة، فأقامها فكتب له عمر إلى عماله السعاة العرب كلهم (من كان فيه أحد ينسب إلى بجيلة في الجاهلية وثبت عليه في الإسلام يُعرف ذلك فأخرجوه إلى جرير)[٣٤]. ووعدهم جرير فكانا بين العراق والمدينة. ولما أعطي جرير حاجته في استخراج بجيلة من الناس فجمعهم فأخرجوا له وأمرهم بالموعد ما بين مكة والمدينة والعراق فتناموا. ويبدو أن جريراً كان ممن يتطلعون إلى السيادة، وشعر أن مثل هذه السيادة لا تتم إلا بجمع أفراد قبيلة بجيلة، لاسيما وأنه رأى أن المثنى بالعراق وهو يدير بني شيبان. ورأى كيف أن بني شيبان يجلون المثنى ويطيعوه. وأن نجاح المثنى كان بقوة واجتماع قبيلته من حوله في العراق. كل ذلك حفز جرير في أن يرجو الخلفاء (أبو بكر وعمر (رض)) في أن يجمعوا ما تفرق من بجيلة بين القبائل فكان له ما أراد.

وعلى كل حال فقد تحقق لجرير جمع بني بجيلة، لكنه لم يكن راغباً في الذهاب بهم إلى العراق، بل كان يفضل الذهاب بهم إلى الشام. لكن عمر أجابه بل العراق لأن أهل الشام قد قووا على عدوهم فأبى جرير حتى أكرهه[٣٥]، ولعل عدم رغبة بجيلة بالذهاب إلى العراق وتفضيلها الشام يعود إلى أن الشام كانت تعج بالقبائل اليمانية في حين أن العراق كان يعج بالقبائل الربعية، ففضلت بجيلة الذهاب إلى الشام حيث أبناء العم، القبائل اليمانية، يضاف إلى ذلك أن خبرة بجيلة عن العراق قليلة في حين أن الشام كانت مفتوحة للقبائل اليمانية منذ أيام ما قبل الإسلام، إضافة إلى ما سمعوه عما حدث للمسلمين في معركة الجسر وهم في بداية تجميع أفراد قبيلتهم بعد تفرقها لمدة طويلة. ناهيك عن تردد القبائل العربية الأخرى في الذهاب إلى العراق مما زاد في مخاوف بجيلة خاصة وأن وجه فارس كان من أكره الوجوه إلى العرب وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم[٣٦].

وعلى كل حال فلما خرجت بجيلة لجرير وأمرهم بالموعد ووفوه، فإن عمر بن الخطاب (رض) أكره جرير بالذهاب إلى العراق (واستصلاحاً له، فجعل له ربع خمس ما أفاء الله عليهم في غزواتهم هذه له ولمن اجتمع إليه ولمن أخرج له إليه من القبائل)[٣٧] إضافة إلى ربع السواد. وسنناقش هذا الأمر فيما بعد.

وكانت جديلة، وهي من بجيلة، رفضت رئاسة عرفجة عليهم وطلبوا سيادة جرير، لأنهم غضبوا على عرفجة في امرأة منهم –وقد حثهم جرير على عدم قبول سيادة عرفجة على بني جديلة قائلاً لهم (تقرون بهذا - وقد كانت بجيلة غضبت على عرفجة في امرأة منهم- وقد أدخل علينا ما أدخل فاجتمعوا فأتوا عمر فقالوا: اعفنا عن عرفجة، فقال: لا أعفيكم من أقدمكم هجرة وإسلاماً وأعظمكم بلاءً وإحساناً، قالوا: استعمل علينا رجلاً منا ولا تستعمل علينا نزيعاً فينا فظن عمر أنهم ينفونه من نسبه، فقال انظروا ما تقولون! قالوا: نقول ما تسمع، فأرسل إلى عرفجة، فقال إن هؤلاء استعفوني منك، وزعموا أنك لست منهم، فما عندك؟ قال: صدقوا، وما يسرني أني منهم، أنا امرئ من الأزد ثم من بارق في كهف لا يحصى عدده وحسب غير مؤتشب –مخلوط غير صحيح في نسبه- فقال له عمر: نعم الحي الأزد! يأخذون نصيبهم من الخير والشر)[٣٨].

فظموا إلى جرير إضافة إلى من كان من بني عامر من بجيلة وبذا يكون جرير قد تولى عظم بجيلة. ثم قال عمر للآخرين اسمعوا لجرير. وتوطدت علاقة جرير بعمر بن الخطاب (رض) بمرور الزمن حتى قال عنه ابن الجوزي إن جريراً كان يقول (إنه كان أقرب الناس إلى عمر)[٣٩].

وعلى كل حال فقد رغبهم عمر بن الخطاب بالذهاب إلى العراق[٤٠] على الرغم من رغبتهم في الذهاب إلى الشام للأسباب السابقة، ولكن عوضهم عن إجبارهم هذا بأن جعل لهم ربع خمس ما أظهره الله عليهم في غزواتهم هذه ولمن اجتمع إليهم وما أخرج إليهم من القبائل[٤١]. ولا يعني هنا ربع خمس الأرض، إنما الغنيمة المنقولة كالكراع والمال لأن الأرض لا تخمس. إضافة إلى ربع ماغلبوا عليه من السواد[٤٢] وهذا امتياز لم تحصل عليه أية قبيلة في التاريخ العربي الإسلامي.

ولا يعني ربع السواد، ربع سكان السواد، إنما ربع أرض السواد لأن العرب لا يمكن أن يستوعبوا هذا العدد الضخم من السكان، إضافة إلى ذلك، فقد أدرك العرب أهمية الاقتصاد الزراعي كمصدر للدخل لذا فقد أبقوا سكان السواد يزرعون الأرض وإلى جانب ذلك فقد كان العرب مقارنة بالسكان الأصليين أقلية لذا فقد أصبح الواجب يقضي بقاء السكان الأصليين لزراعة الأرض وإعمارها.

وعلى كل حال فد ظلت بجيلة تتمتع بربع أرض السواد لمدة ثلاث سنوات. وعندما وفد جرير على عمر بن الخطاب (رض) قال عمر له (لولا أني قاسم مسؤول لكنت على ما جعلت لكم وأني أرى الناس قد كثروا فردوا ذلك عليهم ففعل وفعلوا...)[٤٣]. وقد عوضهم عمر بن الخطاب بمبالغ نقدية. واختلفت الروايات في مقدار هذه المبالغ، ففي رواية أن عمراً صالح بجيلة بأن فرق لهم في ألفين ألفين من العطاء. وفي رواية أن عمر قد أجاز جرير بأربعمائة دينار. وجاء في رواية ثالثة أن عمر أجاز جرير بثمانين دينار. وأن امرأة من بجيلة يقال لها أم كرز قالت إن أبي هلك وسهمه ثابت في السواد وأني لن أسلم فقال لها: يا أم كرز إن قومك قد أجابوا، فقالت له ما أنا بمسلمة، أو تحملني على ناقة ذلول عليها قطيفة حمراء وتملأ يدي ذهباً ففعل عمر ذلك[٤٤]. والرأي عندي أن هذه الروايات الثلاث يكمل بعضها بعضاً، فمبلغ الأربعمائة دينار كان مكافئة أولية لقبيلة بجيلة نضير موافقتها على تسليم السواد للخلافة الإسلامية إضافة إلى العطاء السنوي وهو ألفين ألفين أما الثمانين دينار فتلك هي جائزة لجرير لقاء نجاحه في إقناع أفراد قبيلته بالتنازل عن ربع أرض السواد.

ورغم ما ذكرناه من آراء حول ربع السواد، فهناك رواية عند البلاذري وينقلها عنه قدامة بن جعفر، وتتلخص في أن بجيلة لم تأكل السواد لأن عمر تمكن من إقناعهم بالحجة فتنازلوا عن ما وعدهم به في السواد. روى البلاذري أن عمر جعل لجرير ولقومه (ما غلبوا عليه من السواد، فلما جمعت غنائم جلولاء طلب ربعه، فكتب سعد إلى عمر يعلمه بذلك، فكتب عمر إن شاء جرير أن يكون إنما قاتل وقومه على جعل كجعل المؤلفة قلوبهم فأعطهم جعلهم، وإن كانوا إنما قاتلوا لله واحتسبوا عنده فهم من المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، فقال جرير صدق أمير المؤمنين وبر لا حاجة بنا إلى الربع)[٤٥]. ولما كانت معركة القادسية قد حدثت في سنة ١٤هـ وجلولاء في ١٦هـ فهذا يعني أن بجيلة لم تأخذ السواد ولم تتمتع به بعد القادسية أي في الفترة ما بين ١٤-١٦هـ وهي فترة مزدحمة بأحداث الحربين، القادسية وجلولاء، وهذا لا يُعد تمتعاً لأن ضرورات الحرب تقتضي أن يستغله جميع المحاربين ومنهم أبناء بجيلة ولكن من ناحية أخرى فإن المصادر التاريخية كالطبري مثلاً لا تشير إلى مثل هذه الرواية مما يجعلها ضعيفة. في حين أنه أشار إلى أن جريراً اشترى بعد معركة جلولاء من أرض السواد صافية على شاطئ الفرات، فأتى عمر فأخبره، (فرد ذلك الشراء وكرهه ونهى عن شراء شيء لم يقتسمه أهله)[٤٦]. مما يجعل احتمال أخذ عمر السواد من بجيلة قائماً وهذا يعني أنهم أكلوه مع بقية المسلمين ثم استطابهم عمر فجعله فيئاً للمسلمين.

وذكرت المصادر، أن بجيلة أدت دوراً كبيراً ومهماً بقيادة جرير بن عبد الله البجلي، في معارك تحرير العراق؛ فقد خرج جرير بن عبد الله في قومه ممداً للمثنى بن حارثة حتى نزل ذا قار ثم ارتفع حتى إذا كان بالجُل والمثنى بمرج السباخ أتى المثنى الخبر أن الأعاجم قد بعثوا مهران ونهض من المدائن شاخصاً نحو الحيرة، فأرسل المثنى إلى جرير وإلى عصّمة بالحث. وقد كان عمر عهد إليهم ألا يعبروا بحر ولا جسر إلا بعد

ظفر، فاجتمعوا بالبويب، فاجتمع العسكران على شاطئ البويب الشرقي. وكان البويب مفيضاً للفرات أيام المدود أزمان فارس يصبّ في الجوف. والمشركون بموضع دار الرزق والمسلمون بموضع السّكون[٤٧].

كتب المثنى إلى جرير: أنت مدد لي، فكتب إليه جرير إني لست فاعلاً إلا أن يأمرني بذلك أمير المؤمنين، أنت أمير وأنا أمير. وكتب المثنى إلى عمر يشكو جريراً فأجابه عمر (إني لم أكن لأستعملك على رجل من أصحامب محمد (ص) يعني جريراً)[٤٨] وسار جرير نحو الجسر ولقى مهران بن باذان –وكان من عظماء فارس- عند النخيلة وقد قطع إليه الجسر، فاقتتلا قتالاً شديد وشد المنذر بن حسان بن ضرار الطبي على مهران فطعنه فوقع عن دابته، فاقتحم عليه جرير، فاحتز رأسه فاختصما في سلبه ثم أصلحا فيه، فأخذ جرير السلاح، وأخذ المنذر بن حسان منطقه[٤٩].

وقد تنازع أهل السير والأخبار في جرير والمثنى، فمن الناس من ذهب إلى أن جريراً كان هو المولى على الجيش ومنهم من رأى أن جريراً كان على قومه والمثنى على قومه[٥٠] والرأي عندي أن الخبر الثاني هو الأقرب إلى الصحيح بدليل أن المثنى شكى جريراً عند عمر بن الخطاب، فكتب إليه عمر (إني لم أكن لأستعملك على رجل من أصحاب محمد –يعني جريراً-)[٥١] ثم كتب عمر لهما أن يجتمعا إلى سعد[٥٢].

وعلى كل حال فإنه كان لبجيلة دورٌ مؤثر في معركة البويب، وأصابتهم خيرات هذه المعركة؛ فقد أصاب المسلمون في هذه المعركة على الظهر نُزل مهران غنماً ودقيقاً وبقراً فبعثوا بها إلى عيالات من قدم من المدينة، وقد خلفوهن بالقوادس. وقام جرير بن عبد الله في قومه وقال (يا معشر بجيلة إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء. وليس لأحد منهم في هذا الخمس غداً من النفل مثل الذي لكم. ولكم ربع خمسه نفلاً من أمير المؤمنين، فلا يكونن أحد أسرع إلى هذا العدو ولا أشد عليه منكم للذي لكم منه ونيّة إلى ما ترجون، فإنما تنتظرون إحدى الحسنيين الشهادة والجنة أو الغنيمة والجنة)[٥٣].

وعندما انهزم الفرس في معركة البويب اتبعتهم بجيلة وخيول من المسلمين، فأصابوا من البقر والسبئ وسائر الغنائم شيئاً كثيراً فقسمه المثنى عليهم (ونفل بجيلة يومئذ ربع الخمس بينهم بالسوية وبعث بثلاث أرباعه مع عكرمة، وألقى الله الرعب في قلوب أهل فارس. وكتب قواد المسلمين، عاصم وعصمه، إلى جرير بأن يأذن لهم، بمتابعة القوم، فأذن لهم فأغاروا حتى بلغوا ساباط. فدخل القواد الثلاثة حصن ساباط)[٥٤]. لا شك في أن هذه الرواية تدل على أن كل من المثنى وجرير كان يقود قومه بدليل طلبْ قواد المسلمين عاصم وعصمه من جرير أن يسمح لهم بمتابعة فلول الفرس المنهزمة فسمح لهم.

وقد روت المصادر معلومات كثيرة عن دور بجيلة في معركة القادسية ١٤هـ ولا يخلو بعضها من المبالغة والغرابة، فعلى سبيل المثال ما رواه أبو يوسف[٥٥] والبلاذري[٥٦] وقدامة بن جعفر[٥٧] بأن بجيلة (كانت ربع الناس يوم القادسية) والرأي عندي أن هذا مبالغ فيه، إذ أشارت المصادر إلى أن عدد مقاتلي بجيلة في القادسية كانوا ألفي مقاتل في حين كان عدد مقاتلي المسلمين في هذه المعركة هو اثنان وثلاثون ألف مقاتل منهم ثمانية آلاف من ربيعة[٥٨] وبذا فإن ربيعة وليست بجيلة كانوا ربع الناس يوم القادسية.

أرى أن المقصود بربع الناس في النص المذكور هو أن بجيلة حصلت على ربع ما غلب عليه المسلمون من السواد في القادسية وبهذه الحالة فهم يعادلون ربع الناس. وكان البعض يعتقد خطأً أن الربع يعني ربع سكان السواد، فقالوا ربع الناس. والدليل على ذلك (لما اجتمعت غنائم جلولاء طلب جرير ومن معه من بجيلة بربعه بحق ما فارقه عليه عمر)[٥٩]. وبالاختصار فإنه لما كانت بجيلة قد أخذت ربع السواد لمدة ثلاث سنوات، عدهم المسلمون بأنهم في هذه الحالة يعادلون ربع الناس الذين قاتلوا في السواد. وبما يجعل الرواية تثير الشكوك أنها من رواية قيس بن حازم البجلي ويبدو أن العصبية أثرت عليه. وليكمل مبالغته في دور بجيلة في معركة القادسية ذكر أن رجلاً من ثقيف لحق بالفرس، فقال لهم إن بأس الناس ها هنا لبجيلة، فوجهوا لها ست عشرة فيلاً وإلى سائر الناس فيلين[٦٠] ويجعلها المسعودي سبع عشرة فيلاً على كل فيل عشرين رجلاً[٦١].

ومهما يكن من أمر فإن دور بجيلة لا ينكر في معركة القادسية فقد روى الطبري أن بجيلة كانت من بين القبائل التي حملت في ليلة الهرير في القادسية سنة ١٤هـ وأصابها الأذى الشديد، فقال سعد (اللهم اغفر لهم وانصرهم وابجيلتاه)[٦٢]. وروى أيضاً أن الفرس حملوا على بجيلة في يوم أغواث –أحد أيام القادسية- حتى كادت أن تؤكل، ففرت خيلها، خوفاً من الفيلة وبقيت الرجالة من أهل المواقف، فأرسل سعد إلى بني أسد: ذبوا عن بجيلة، فخرج طليحة بن خويلد وحمّال بن مالك وغالب بن عبد الله والربيل بن عمرو في كتائبهم فباشروا الفيلة حتى عدلها ركبانها[٦٣]. وقد تعرضت بجيلة في معركة القادسية إلى أضرار الحسك الذي وضعه الفرس تحت أقدام خيولهم ورشقوهم بالنشاب فكأنه المطر عليهم. قرنوا خيولهم بعضها إلى بعض لئلا يفروا. وكان عمرو بن معد يمر بهم فيقول (يا معشر المهاجرين كونوا أسوداً فإنما الأسد من أغنى شأنه فإنما الفارسي تيس...)[٦٤].

وفي يوم عماس، اليوم الثالث من أيام القادسية، جاءت نجدات شامية بقيادة هاشم بن عتبة، وكان من قواده قيس بن حازم البجلي[٦٥]. ولما كانت بجيلة من أهل أيام القادسية، أرماث وأغواث وعماس، فقد فضلوا في العطاء إذ فرض لهم على ثلاثة آلاف، فضلوا على أهل القادسية[٦٦].

وكان سعد قد وجع من قرحته، فقال جرير بن عبد الله البجلي:

أنـــــا جريـــــر كنيتـــــي أبـــو عمـــر قـــد نصـــر الله وســعد فـــي القصـــر

فلما بلغ ذلك سعد، خرج إلى الناس فاعتذر إليهم وأراهم ما به من القرح في فخذيه وإليته فعذروه الناس، قال يجيب جرير[٦٧]:

ومـــا أرجـــو بجيلـــة غيـــر أنـــي أومـــل أجـــرهم يـــوم الحســـاب
فقـــد لقيـــت خيـــولهم خيـــولاً وقـــد وقـــع الفـــوارس فـــي ضـــراب
وقـــد دلفـــت بعرصـــتهم خيـــولاً كـــأن زُهاءهـــا إبـــل جِـــران

وفي رواية أخرى أنه قال يجيب جريراً[٦٨]:

فلـــولا جمـــع قعقـــاع بـــن عمـــرو وحمّـــالٍ للجّـــوا فـــي الكِـــذاب
هـــم منعـــوا جمـــوعكم بطعـــن وضـــرب مثـــل تشـــقق الأهـــاب
ولـــولا ذاك ألفيـــتهم رعاهـــا تشـــل جمـــوعكم مثـــل الـــذباب

وكان جرير قد رفع شعار إطاعة ولاة الأمر في القادسية[٦٩] ولذا فقد جعله سعد على ميمنة الناس في القادسية[٧٠].

وقد اسهمت نساء بجيلة في معركة القادسية بأعداد كبيرة فقال الرواة (لم يكن من قبائل العرب أكثر نساء من نساء بجيلة والنخع وكانوا في ألف وسبعمائة امرأة...)[٧١] وكان في النخع سبعمائة وفي بجيلة ألف، فصاهر هؤلاء ألف من أحياء العرب وهؤلاء سبعمائة[٧٢]. وعن امرأة منهن قالت شهدت القادسية وضم للنساء لكل منهن ٣٣ مثقال من العنبر ومثلها مسك[٧٣].

ويبدو أن البعض بدأ يشعر بعدم الارتياح من حصول بجيلة على هذه الامتيازات، فقالوا شعراً في مدح رئيسها جرير بن عبد الله البجلي لأنه صحابي لكنهم ذموا فيه بجيلة تعبيراً عن عدم الارتياح. قال شاعرهم[٧٤]:

لـــولا جريـــر هلكـــت بجيلـــة نعـــم الفتـــى وبئســـت القبيلـــة

ولم يرد ذكر لقبيلة بجيلة في معركة جلولاء، بل ورد ذكر جرير بن عبد الله البجلي الذي جعله هاشم بن عتبة في خيل كثيفة، ليكون بين المسلمين وعدوهم[٧٥]. وإن جرير بن عبد الله فتح حلوان صلحاً ١٨هـ على أن كف عنهم وأمنهم على دمائهم وأموالهم وجعل لمن اختار منهم الهرب إلا بعرض منه[٧٦]. وأما المعارك خارج العراق فلم يرد ذكر آل بجيلة أيضاً. إنما ورد ذكر أسماء قادتها وأشهرهم جرير بن عبد الله، فقد اشترك في فتح نهاوند سنة ٢٣هـ[٧٧] كمقاتل وقائد احتياطي وكذلك الأمر في فتح همدان سنة ٢٤هـ إذ كان جرير قائد فتحها[٧٨] واشترك في فتح أذربيجان[٧٩] وتستر[٨٠].

ولعل عدم ذكر قبيلة بجيلة في فتوح المشرق يعود إلى اندماجهم بالقبائل الأخرى كما كانوا قبل الإسلام. أو أن الخمول أصابهم بعد أن استرد منهم عمر بن الخطاب ربع أرض السواد.

أثبتت المصادر المتوفرة في الوقت الحاضر أن قبيلة بجيلة أدت دوراً مهماً في الحروب الأهلية الي شهدتها الدولة العربية منذ مقتل عثمان (رض) وحتى سقوط الدولة الأموية، فعندما حوصر عثمان (رض) سنة ٣٥هـ في بيته، كتب إلى واليه على الشام، معاوية بن أبي سفيان طالباً منه أن يرسل له مقاتلة أهل الشام، فلما جاء الكتاب تربص معاوية به ولم ينفذه فلما أبطأ أمره على عثمان، كتب إلى يزيد بن أسد بن كرز البجلي وإلى أهل الشام يستنفرهم ويعظم حقه عليهم فـ(قام يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري... ثم ذكر عثمان فعظم حقه وحضّهم على نصره وأمرهم بالمسير إليه فتابعه ناس كثير وساروا معه حتى إذا كانوا بوادي القرى بلغهم مقتل عثمان (رض) فرجعوا)[٨١].

ولم يرد في المصادر المتوفرة لدينا ذكر لدور بجيلة في معركة الجمل ولكن بعد انقضائها وعندما قدم الإمام علي (ع) الكوفة وكاتب العمال ومنهم جرير بن عبد الله البجلي عامل عثمان (رض) على همدان مخبراً إياه بما جرى في معركة الجمل. وذكر له أنه أرسل له زهير بن قيس وعليه أن يسأله عما بدا له[٨٢]. وعندما وصل الكتاب إلى جرير قرأه على الناس وحثهم على مبايعة الإمام علي (ع) قائلاً لهم (وقد بايعه الناس الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان. ولقد جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين... ألا وأن البقاء في الجماعة والفناء في الفرقة وأن علياً حاملكم على الحق... فقال الناس سمعاً وطاعة رضينا رضينا)[٨٣]. وكتب جرير إلى الإمام علي (ع) جواب كتاب الطاعة والبيعة. ثم ألقى خطبة في همدان وزينها بقصيدة قال من جملة ما قاله فيها:

أتـــاني كتـــاب علـــي فلـــم رســـول المليـــك ومـــن بعـــده
ولـــم نعـــص مـــا فيـــه لمـــا أتـــى علـــي عنيـــت وصـــي النبـــي
* * * * * * * * * * * * *
فصـــلى الإلـــه علـــى أحمـــد

نـــــرد الكتــــــاب بـــــأرض العجـــــم خليفتنــــــــا القــــــــائم المـــــــدّعم
لمـــــــا نُـــــــذمّ ولمـــــــا نعلـــــــم نجالـــــــد عنـــــــه غُـــــــواة الأمـــــــم
* * * * * * * * * * * * *
رســـــول المليـــــك تمـــــام الـــــنعم

فسُرّ الناس بهذه القصيدة(٨٤).

ثم قدم جرير الكوفة وحضر مجلس الإمام علي (ع) وعندما أراد الإمام علي (ع) أن يبعث رسولاً إلى معاوية ألح جرير على أن يكون هو الرسول إذ قال (ابعثني يا أمير المؤمنين إليه فإنه لم يزل لي مستصحباً ودوداً آتيه فأدعوه على أن يسلّم لك هذا الأمر ويجامعك على الحق على أن يكون أميراً من أمرائك وعاملاً من عمالك ما عمل بطاعة الله واتبع ما في كتاب الله)(٨٥).

والرأي عندي أن إلحاح جرير على أن يكون هو الرسول إلى معاوية، واقتراحه على أن يظل معاوية والياً على الشام رغم أن علياً (ع) عزل كل ولاة عثمان ومن جملتهم جرير نفسه يثير الكثير من التساؤلات منها احتمال كون جرير يريد الذهاب إلى الشام حيث أنصار عثمان (رض) الذي ولاه همدان وحيث معاوية الذي يكون جرير قد أسدى له خدمة كبيرة عندما اقترح على أن يبقى والياً على الشام ومصر(٨٦) وهذا ما يريده معاوية. يضاف إلى ذلك فإنه من المحتمل أنه يريد أن يوفق بين الطرفين دون الاهتمام بمن سيكون الفائز، وطمعاً في منصب جديد من الطرف المنتصر بغض النظر عن هوية هذا المنتصر، الإمام علي (ع) أو معاوية، لاسيما وأنه قال للإمام علي عن أهل الشام (فجلهم قومي وأهل بلادي وقد رجوت ألا يعصوني)(٨٧) وفي رواية أخرى أن علياً لما أراد أن يبعث جرير إلى معاوية قال للإمام علي (والله يا أمير المؤمنين ما أدخرك من نصرتي شيئاً وما أطمع لك في معاوية. فقال علي (ع) إنما قصدي حجة أقيمها عليه)(٨٨).

لا شك أن هذا يعني أن جريراً كان يعرف مسبقاً ما هو عليه كل من الإمام علي (ع) ومعاوية. وقد اعترض الأشتر على سفارة جرير لأنه يرى أن هواه هوى معاوية وأنصاره ونيته نيتهم لكن الإمام علي أرسل جريراً وقال للأشتر (دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا)(٨٩). وخاطب الإمام علي (ع) جرير قائلاً: (إن حولي من أصحاب رسول الله من أهل الرأي والدين من قد رأيت وقد اخترتك عليهم لقول رسول الله فيك: إنك من خير ذي يمن)(٩٠)، اذهب إلى معاوية واطلب منه أن يدخل مع المسلمين وأعلمه أني لا أرضى به أميراً وأن العامة لا ترضى به خليفة.

عند وصول جرير إلى الشام، دخل على معاوية وأخبره أن أهل الحرمين قد اجتمعوا للإمام علي (ع) وأهل المصرين وأهل الحجاز وأهل اليمن ومصر وأهل العروض –عُمان- وأهل البحرين واليمامة ولم يبق إلا ما وقع تحت سيطرته من حصون. ثم دعاه إلى مبايعة الإمام علي. وسلمه كتاب الإمام علي. ثم قام جرير وخطب قائلاً (... إن أمر عثمان قد أعيا من شهده فكيف بمن غاب عنه؟ إن الناس قد بايعوا علياً غير واتر ولا موتور، وكان طلحة والزبير ممن بايعه ثم نكثا بيعته على غير حدث. ألا وأن هذا الدين لا يحتمل الفتن. ألا وأن العرب لا تحتمل الفتن. بايعت الأمة علياً... ولم تختر لها غيره ومن خالف هذا استعتب، فادخل يا معاوية فيما دخل فيه الناس فإن قلت استعملني عثمان فلم يعزلني فإن هذا قول لو جاز لم يقم لله دين، وكان لكل امرئ ما في يديه، ولكن الله جعل للآخر من الولاة حق الأول وجعل الأمور موطئاً ينسخ بعضها بعضاً(٩١).

لجأ معاوية إلى أهل الشام الذين نجح في كسب تأييدهم له بوسائله الذكية منذ كان والياً عليهم في عهد عمر وعثمان (رض) فبايعوه على محاربة الإمام علي (ع). وعندما استحثه جرير قال (يا جرير إنها ليست بخلسة وأنه أمر له ما بعده فأبلغني ريقي حتى أنظر، ودعا معاوية ثقاته فأشار عليه أخوه عتبة بن أبي سفيان بعمرو بن العاص وقال له إنه من قد عرفت واعتزل عثمان وعلي في حياته وهو لأمرك أشد اعتزالاً إلا أن يثمن له دينه.

وجرى نقاش بين جرير مع أشد أنصار معاوية حماسة وهم شراحيل والحصين بن نمير. فقد قال شراحيل لجرير: (... أتيتنا بأمر ملفق –جلب من هنا وهناك- لتلقي بنا في لهوات الأسد وأردت أن تخلط الشام بالعراق وأطريت علياً وهو قاتل عثمان والله سائلك عما قلت يوم القيامة)(٩٢). فأجابه جرير (... أما قولك إني جئت بأمر ملفق، فكيف يكون ملفقاً وقد اجتمع عليه المهاجرون والأنصار وقوتل على رده طلحة والزبير؟ أما قولك أني ألقيتك في لهوات الأسد، ففي لهواته ألقيت نفسك، وأما خلط الشام بأهل العراق، فخلطهما على حق خير من فرقتهما على باطل. وأما قولك أن علياً قتل عثمان فوالله ما في يديك من ذلك إلا القذف بالغيب من مكان بعيد ولكنك ملت إلى الدنيا وشيء كان في نفسك على زمن سعد بن أبي وقاص)(٩٣). وعندما سمع معاوية ما قاله جرير لشراحيل زجره.

ودخل شراحيل بن السمط بن الأسود بن جبلة الكندي على معاوية ومدحه كثيراً وحثه على محاربة علي (ع) فقال له جرير بن عبد الله البجلي (مهلاً يا شراحيل فإن الله قد حقن الدماء ولم الشعث وجمع أمر الأمة ودنا من هذه الأمة سكون، فإياك أن تفسد بين الناس وأمسك عن هذا القول قبل أن يشيع ويظهر منك قول لا تستطيع رده...)(٩٤) ثم قام فتكلم به فقال الناس صدق، صدق! القول ما قال والرأي ما رأى، فأيس جرير عند ذلك من معاوية ومن عوام الشام.

ثم اجتمع معاوية بجرير مرة أخرى وعرض عليه أن يكتب إلى علي أن (يجعل لي الشام ومصر جباية فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده في عنقي بيعة وأسلم له هذا الأمر وأكتب له بالخلافة)[٩٥]. فكتب معاوية لكن الإمام علي رفض ما كتبه إليه معاوية ودعا جريراً إلى العودة.

يظهر من النقاش الذي تم بين جرير ومعاوية وبين جرير وأنصار معاوية أمثال شراحيل والحصين، أن جريراً كان مفاوضاً غير مرن بعكس ما كان قد عرضه من آراء على الإمام علي (ع) قبل أن يذهب إلى الشام. الرأي عندي أنه عندما كان في حضرة الإمام علي (ع) وقبل أن يذهب إلى الشام للتفاوض قد أبدى مرونة تجاه معاوية ليجس نبض الإمام علي وأنصاره خاصة الأشتر وهو يعلم أن الإمام علي لا يرضى بذلك، وعندما وصل الشام أبدى حزمه الشديد مع معاوية وأنصاره وهو يعلم أيضاً أنهم لا يرضون بما سيعرضه عليهم كل ذلك ليعقد الأمر ويفوت فرصة الحل السلمي. كيف لا وهو قد عزله الإمام علي (ع) عن ولاية همدان وهو ذلك اليماني الذي يرغب في إثارة الحرب بين المتصارعين المضريين ليحاول إضعافهم ليقتنص الفرصة الملائمة لإعادة مجد القبائل اليمانية الذي كانت تفتخر به على بقية القبائل العربية قبل الإسلام. ثم جاء الإسلام فأشرق نجم القبائل المضرية وساد نوره عليها. إضافة إلى ذلك فإن بقاء جرير في الشام مدة طويلة وغير عادية فسرت بأن ذلك أما لكونه كان عاصياً أو مخدوعاً[٩٦]. ومما يجعل هذه التساؤلات مشروعة هو هروب جرير فيما بعد، بعد أن تعرض لانتقادات الأشتر، والتحاقه بقرقيا ومكاتبته معاوية من هناك كما سنرى فيما بعد. وإلى جانب ذلك فإن جريراً هو الذي اقترح وبإلحاح على أن يذهب إلى الشام ليفاوض معاوية وهذا يعني أنه كان ينوي تحقيق شيء في نفسه بعد أن يُصَعِب ما استوعر من الأمر. أضف إلى ذلك فإن معاوية بعد أن أصبح خليفة كان يكن لجرير كل الاحترام والتقدير، فقد قبل شفاعته للبجليين الذين أرسلهما والي العراق مع حُجر بن عدي إلى معاوية[٩٧]. وقد مدحه معاوية عندما صار خليفة قائلاً (هو أهل أن يصدق قوله وتقبل نصيحته)[٩٨]، مما يدل على رغبة معاوية في مكافأة جرير لما عمله من أجله.

كان جرير قد أبطأ على الإمام علي (ع)، فكتب إليه طالباً منه الرجوع بعد أن يحمل معاوية على الفصل وأن يخيره ويأخذ الجواب منه بين الحرب المخزية أو السلام المحظية، فإن اختار الحرب فينبذ إليه وإن اختار السلم فتأخذ بيعته[٩٩].

عرض جرير رسالة الإمام علي (ع) على معاوية، وبعد مناقشات بين معاوية وأنصاره ولما بايع أهل الشام معاوية بعد أن ذاقهم، قال معاوية يا جرير الحق بصاحبك واكتب إليه بالحرب[١٠٠].

ثم عاد جرير إلى الإمام علي وكثر قول الناس في التهمة له في أمر معاوية. واجتمع جرير والأشتر عند علي وحصلت مشادة كلامية عنيفة بين الاثنين في حضرة الإمام علي (ع) إذ قال الأشتر إن جرير كان عثمان قد اشترى منه دينه بهمدان وهو عدو لك وغشاش للمسلمين وأنه ظل في الشام فترة طويلة ليتخذ يداً. ثم رجع منهم يهددنا وأن سعيه كان لمعاوية واقترح على الإمام علي حبسه إلى أن تنجلي الأمور.

لما سمع جرير هذه التهم (فارق علياً فلحق بقرقيسيا ولحق به ناس من قسر من قومه، فلم يحضر صفين من قسر غير تسعة عشر رجلاً)[١٠١]. إن هروب جرير جعل الإمام علي يصدق التهم الموجهة له فـ(هدم دار جرير ودور قوم ممن خرج معه، حيث فارق علياً بهم، فهم أبو أراكة بن مالك بن عامر القسري، كان ختنه على ابنته، وموقع داره بالكوفة كان يعرف بدار أبي أراكة)[١٠٢]. وخرج الإمام علي (ع) إلى دار ثوير بن عامر فحرقها وهدم منها وكان ثوير قد لحق بجرير[١٠٣].

بعد أن فشلت المفاوضات بين الإمام علي (ع) ومعاوية حدثت معركة صفين سنة ٣٦هـ. وأثناء القتال على الماء قاد الأشعث بن قيس جيشاً لطرد جيش معاوية الذي سيطر على الماء ولكن مدداً لجيش معاوية بقيادة يزيد بن أسد البجلي جاء ممداً في الخيل والرجال[١٠٤]. ولم يكن يزيد بن أسد يمثل قبيلة بجيلة في هذه المعركة لكنه كان يمثل عدة نفر منها ممن ارتبطت مصالحهم بمعاوية، يدل على ذلك أن الإمام علي لم يجد في معركة صفين لبجيلة نصيرته، أحمس وقلة من قسر، في العراق والتي اشترك منها ٧٠٠ مقاتل من أحمس و١٩ مقاتل من قسر، ما يقابلها في الشام إلا عدد يسير ففرق أنصاره من بجيلة على لخم[١٠٥].

لقد انضم إلى الإمام علي في صفين أعداداً كبيرة من بجيلة، وكانت رايتهم في أحمس بن االغوث بن أنمار بن شداد وهو قيس بن مكشوح بن هلال بن الحارث بن عمرو بن جابر بن علي بن أسلم بن أحمس بن الغوث، فقالت له بجيلة خذ راتينا، فقال غيري خير لكم مني. قالوا ما نريد غيرك. قال: والله لئن أعطيتمونها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب، قالوا: اصنع ما شئت فأخذها منهم حتى وصل إلى صاحب الترس المذهب –وكان في جماعة عظيمة من أصحاب معاوية، وذكروا أنه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي- فاقتتل الناس قتالاً شديداً، فقاتل حتى قتل، فأخذ الراية أخوه عبد الرحمن، فقاتل حتى قتل ثم أخذها عفيف بن إياس فلم تزل في يده حتى تحاجز الناس[١٠٦].

لا شك في أن قول أحمس بن الغوث (غير خير لكم...) يدل على أن اشتراك هذه القبيلة، أو ربما قبل أخرى، في هذه الحرب كان مجرد إجراء شكلي هدفه إظهار تأييد القبيلة الاسمي لرؤسائها وإظهار هؤلاء الرؤساء تأييدهم غير الجاد للإمام علي، وإلا ما قال لهم أحمس بن الغوث لئن أخذت الراية لا أنتهي بكم دون

صاحب الترس وهذا ليس من مصلحتهم لأن ذلك الاقتحام الحقيقي لمركز قيادة معاوية الحصين وما يتطلبه ذلك من ثمن باهض ليس من مصلحة بجيلة، لأن ذلك يعني خسرانها الكثير من المقاتلين وبالتالي إضعافها.

وعلى كل حال فقد ظل بعض البجليين المنضمين إلى معاوية، وهم قلة جداً، ظلوا مخلصين للروابط القبلية التي تربطهم ببجيلة الإمام علي، فقد روى الطبري في حوادث ٣٧هـ خبر مقتل حازم بن أبي حازم الأحمسي أخو قيس بن أبي حازم ومقتل نعيم بن صهيب بن العلية البجلي. فأتى ابن عمه وسميه، نعيم بن الحارث بن العلية، معاوية وكان معه، فقال إن هذا القتيل ابن عمي فهبه لي أدفنه، فقال لا تدفنه فليس لذلك أهلٌ... قال والله لتأذنن في دفنه أو لألحقن بهم ولأدعنك. قال معاوية أترى أشياخ العرب قد أحالتهم أمورهم، فأنت تسألني دفن ابن عمك! ادفنه إن شئت أو دع دفنه. لا شك فإن هذه الرواية تدل على قوة التماسك القبلي وطغيانه على الجوانب الأخرى. وعلى كل حال فإن ما ذكرناه من معلومات تدل على أن بجيلة لعبت دوراً مهماً في صفين. ولم تقف عند هذا الحد؛ فقد شهد على التحكيم من أنصار الإمام علي (رض) سنة ٣٧هـ عشرة أشخاص أحدهم من بجيلة وهو ورقاء بن سُميّ البجلي.

وفي الختام فقد انضمت بجيلة إلى الإمام علي (ع) في العراق ضد أهل الشام لسخطها على عثمان لأنها كانت تشعر بإهمال متعمد لحق بها على الرغم جهودها في تحرير العراق، والذي لم تكن في الأصل تميل أو ترغب في الاشتراك بجرير، لكنها جاءت إليه بديلاً عن الشام لقاء ربع أرض السواد. وقد حُرمت من هذا الربع لقاء مكافأة مالية مما أثار غضبها على الخلافة الإسلامية وجعلها تتجه إلى أية حركة سياسية معارضة لسياسة الخلافة في المدينة أو الشام. فسخطت على عثمان (رض) الذي قرب الأمويين الذين لا دور لهم يذكر في تحرير العراق.

إن الإسلام هو الوسيلة التي توحدت بها بجيلة، بعد أن كانت قد تفرقت في القبائل الأخرى مما أضعفها وساعد أحد الأزد على تزعم أحد فروعها.

المصادر والمراجع:

(١) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، جـ١ (بيروت ١٩٨٧) ص٣٨١.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ٢ (بيروت ١٩٦٥) ص٨٩-٩٠. وانظر القلقشندي، المصدر السابق، جـ١ ص٣٨١.

(٣) تاريخ اليعقوبي، جـ١ (نجف ١٩٦٤) ص١٩٥، وانظر القلقشندي، المصدر السابق، جـ١ ص٣٨١.

(٤) لسان العرب، مادة بجيلة.

(٥) المنقري، وقعة صفين، تحقيق محمد علي العاملي (بيروت ١٩٦٠) ص٢١. وانظر ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، جـ٣ (القاهرة ١٩٦٥) ص٧٥.

(٦) المبرد، الكامل في الأدب، تحقيق محمد أبو الفضل، جـ٤ (القاهرة ١٩٧٧) ص١٠٣. السمعاني، الأنساب، جـ٢ (بيروت ١٩٨٠) ص٨٥.

(٧) أبو يوسف، الخراج (القاهرة ١٣٥٢هـ) ص١٩٤.

(٨) المصدر السابق، جـ١ ص٣٤٦.

(٩) الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، جـ٧ (القاهرة ١٩٧٨) ص١٣٠.

(١٠) المصدر نفسه والجزء ص٢٦.

(١١) المصدر نفسه والجزء ص٤٧.

(١٢) المصدر السابق، جـ٤ ص١٠٣.

(١٣) انظر شجرة أنساب القبائل القحطانية الملحقة بكتابه

The Role of Arab Tribes in The East during the period of the Umayyads, (Baghdad, 1975).

(١٤) الدولة العربية وسقوطها، ترجمة عبد الهادي بوريدة (القاهرة ١٩٦٨) ص٣١٨.

(15) Islamic history (1) (Cambridge, 1977) p.120.

(١٦) القلقشندي، المصدر السابق، جـ١ ص٣٨١.

(١٧) الطبري، المصدر السابق، جـ٣ ص٤٦٢.

(١٨) ابن هشام، السيرة النبوية، جـ٤، تحقيق مصطفى السقا وآخرون (بيروت ١٩٦٥) ص٢٩٠.

(١٩) الطبري، المصدر السابق، جـ٣ ص١٥٨، أبو يوسف، المصدر السابق، ص١٩٤، العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ١ (القاهرة ١٣٢٨هـ) ص٢٣٢.

(٢٠) الطبري، المصدر السابق، جـ٣ ص١٨٧، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ١ (بهامش كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، جـ١ ص٢٣٣).

(٢١) ابن أبي الحديد، المصدر السابق، جـ٣ ص١١٨؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، جـ١ ص٢٣٣، السمعاني، المصدر السابق، جـ٢ ص٨٥.
(٢٢) ابن أبي الحديد، المصدر السابق، جـ٣ ص١١٨؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، جـ١ ص٢٣٣. وانظر القلقشندي، المصدر السابق، جـ١ ص٣٨١.
(٢٣) ابن أبي الحديد، المصدر السابق، جـ٣ ص١١٨، وانظر العسقلاني، المصدر السابق، جـ١ ص٢٣٢.
(٢٤) المبرد، المصدر السابق، جـ١ ص٦.
(٢٥) المصدر نفسه، جـ١ ص١٩١. العسقلاني، المصدر السابق، جـ١ ص٢٣٢، السمعاني، المصدر السابق، جـ٢ ص٨٥.
(٢٦) ابن عبد البر، المصدر السابق، ص٢٣٣. السمعاني، المصدر السابق، جـ٢ ص٨٥.
(٢٧) الطبري، المصدر السابق، جـ٣ ص١٥٨؛ أبو يوسف، المصدر السابق، ص١٩٤، العسقلاني، المصدر السابق، جـ١ ص٢٣٢.
(٢٨) الطبري، المصدر السابق، جـ٣ ص١٨٧، ابن عبد البر، المصدر السابق، ٢٣٣/١.
(٢٩) الطبري، المصدر السابق، جـ٣ ص٣٢٤.
(٣٠) المصدر السابق، جـ٣ ص٤٦٢.
(٣١) البلاذري، فتوح البلدان (القاهرة ١٩٥٩) ص٢٤٣.
(٣٢) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٤٧.
(٣٣) أبو يوسف، المصدر السابق، ص١٤٥.
(٣٤) الطبري، المصدر السابق، جـ١ ص٤٦٠.
(٣٥) المصدر السابق، جـ٣ ص٤٦٠، ٤٦٢.
(٣٦) المصدر نفسه والجزء ص٤٤٤.
(٣٧) المصدر نفسه والجزء والصفحات.
(٣٨) المصدر نفسه، جـ٣ ص٤٦٢.
(٣٩) سيرة عمر بن الخطاب (القاهرة لا ت) ص٨٣.
(٤٠) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٥٣.
(٤١) الطبري، المصدر السابق، جـ٣ ص٤٦٠، ٤٦٢.
(٤٢) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٥٣، ص٢٦٧، قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص٣٥٨، ٣٦٣، ٣٦٤، أبو يوسف، المصدر السابق، ص٣٢.
(٤٣) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٦٧، قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص٣٦٣، أبو يوسف، المصدر السابق، ص٣٢.
(٤٤) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٦٧، قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص٣٦٣، ٣٤٠، أبو يوسف، المصدر السابق، ص٣٢، أبو عبيد، المصدر السابق، ص٨٧.
(٤٥) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٦٧، قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص٣٦٤.
(٤٦) المصدر السابق، جـ٤ ص٣٣.
(٤٧) الطبري، المصدر السابق، جـ٣، ص٤٦٣.
(٤٨) المصدر نفسه، جـ٣ ص٤٦١، ص٤٧٢، اليعقوبي، المصدر السابق، جـ٢ ص١٣٢، ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط (نجف ١٩٦٧) ص٩٨.
(٤٩) الطبري، المصدر السابق، جـ٣ ص٤٦١، اليعقوبي، المصدر السابق، جـ٢ ص١٣٢، ابن خياط، المصدر السابق، ص٩٨، المسعودي، المصدر السابق، جـ٢ ص٣١٠-٣١١، البلاذري، المصدر السابق، ص٢٥٣.
(٥٠) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٥٤، أبو يوسف، المصدر السابق، ص٢٩.
(٥١) الطبري، المصدر السابق، جـ٣ ص٤٧٢، ابن خياط، المصدر السابق، ص٩٨.
(٥٢) الطبري، المصدر السابق، جـ٣ ص٤٧٢.
(٥٣) الطبري، المصدر السابق، جـ٣ ص٤٦٩.
(٥٤) المصدر نفسه، جـ٣ ص٤٧.
(٥٥) المصدر السابق، ص٣١.
(٥٦) المصدر السابق، ص٢٦٧.
(٥٧) الخراج وصنعة الكتابة، ص٣٦٣.
(٥٨) انظر على سبيل المثال الطبري، المصدر السابق، جـ٣ ص٤٨٦.
(٥٩) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٦٧، قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص٣٦٤.

(٦٠) أبو يوسف، المصدر السابق، ص٣١، الطبري، المصدر السابق، جـ٣ ص٥٣٨، ص٥٧٦.
(٦١) المسعودي، المصدر السابق، جـ٢ ص٣١٥.
(٦٢) الطبري، المصدر السابق، جـ٣ ص٥٩١.
(٦٣) المصدر نفسه، جـ٣ ص٣١٥، ٣٣٨، المسعودي، المصدر السابق، جـ٢ ص٣١٥.
(٦٤) الطبري، المصدر السابق، جـ٣ ص٥٧٦.
(٦٥) المصدر نفسه، جـ٣ ص٥٥٢-٥٥٣.
(٦٦) المصدر نفسه، جـ٣ ص٥٦٨.
(٦٧) المصدر نفسه، جـ٣ ص٥٧٧.
(٦٨) المصدر نفسه، جـ٣ ص٥٨٠.
(٦٩) المصدر نفسه، جـ٣ ص٥٣١.
(٧٠) المصدر نفسه، جـ٣ ص٥٧٥.
(٧١) الواقدي، فتوح الشام، تحقيق عمر أبو النصر، جـ٢ (بيروت ١٩٦٦) ص١٩٢.
(٧٢) الطبري، المصدر السابق، جـ٣ ص٥٨١.
(٧٣) الواقدي، المصدر السابق، جـ٢ ص١٩٢.
(٧٤) القلقشندي، المصدر السابق، جـ١ ص٣٨١.
(٧٥) قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص٣٦١، البلاذري، المصدر السابق، ص٢٩٩.
(٧٦) قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص٣٧٠، البلاذري، المصدر السابق، ص٢٩٩، خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص١١١.
(٧٧) البلاذري، المصدر السابق، ص٣٠٠، الطبري، المصدر السابق، جـ٤ ص٣١٥، خليفة بن خياط، المصدر السابق.
(٧٨) البلاذري، المصدر السابق، ص٣٠٦، خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص١٢٤.
(٧٩) قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص٣٧٨.
(٨٠) خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص١١٦.
(٨١) الطبري، المصدر السابق، جـ٤ ص٣٦٨.
(٨٢) ابن أبي الحديد، المصدر السابق، جـ٣ ص٧٠، المنقري، المصدر السابق، ص١١.
(٨٣) ابن أبي الحديد، المصدر السابق، جـ٣ ص٧١، المنقري، المصدر السابق، ص١٢.
(٨٤) ابن أبي الحديد، المصدر السابق، جـ٣ ص٧٢-٧٣.
(٨٥) المسعودي، المصدر السابق، جـ٢ ص٣٧٢، المنقري، المصدر السابق، ص١٥، ابن أبي الحديد، المصدر السابق، جـ٣ ص٧٤، الطبري، المصدر السابق، جـ٤ ص٥٦١.
(٨٦) ابن أبي الحديد، المصدر السابق، جـ٣ ص٧٤.
(٨٧) المبرد، المصدر السابق، جـ١ ص٣٣٥. ابن أبي الحديد، المصدر السابق، جـ٣ ص٨٨.
(٨٨) الطبري، المصدر السابق، جـ٤ ص٥٦١، المسعودي، المصدر السابق، جـ٢ ص٣٧٢، ابن أبي الحديد، المصدر السابق، جـ٣ ص٧٥.
(٨٩) المبرد، المصدر السابق، جـ١ ص٣٣٥.
(٩٠) المنقري، المصدر السابق، ص٢٢-٢٣، ابن أبي الحديد، المصدر السابق، جـ٣ ص٧٦-٧٧.
(٩١) المنقري، المصدر السابق، ص٣٤، ابن أبي الحديد، المصدر السابق، جـ٣ ص٨٠.
(٩٢) المصادر نفسها والفصحات.
(٩٣) ابن أبي الحديد، المصدر السابق، جـ٣ ص٨٤.
(٩٤) المصدر نفسه والصفحة.
(٩٥) المصدر نفسه، جـ٣ ص٨٧.
(٩٦) الطبري، المصدر السابق، جـ٥ ص٢٧٤.
(٩٧) المصدر نفسه والصفحة.
(٩٨) المنقري، المصدر السابق، ص٤٠.
(٩٩) المصدر نفسه والصفحة، ابن أبي الحديد، المصدر السابق، جـ٣ ص٨٧.
(١٠٠) الطبري، المصدر السابق، جـ٤ ص٥٦٢، المنقري، المصدر السابق، ص٤٣، ابن أبي الحديد، المصدر السابق، جـ٣ ص١١٧.
(١٠١) ابن أبي الحديد، المصدر السابق، جـ٣ ص١١٨.
(١٠٢) الطبري، المصدر السابق، جـ٤ ص٣٦٩.
(١٠٣) المنقري، المصدر السابق، ص٤٣، ١٥٥؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، جـ٣ ص١١٧.

(١٠٤) الطبري، المصدر السابق، جـ٥ ص٢٥.
(١٠٥) المصدر نفسه، ص٢٦.
(١٠٦) المصدر نفسه والجزء ص٥٤.

Bajila role in the Arabic- Islamic history in the early period of Islam

Prof. Dr. Jassim Sagban Ali.
College of Education for Women - History department

Abstract:

Bajila regarded as descending from Anmar Ibn Nizar. Al-Masudi accepts Bajila and Khath"am as being of Nizar, and asserts that it was only out of the enmity that they were said to be from the Yemen.

Al-Ya"qubi tries to harmonize this by assuming that Anmar married a women of the Yemen and that his sons Bajila and Khath"am are thus connected to the people of this region only through their mothers line.

Bajila embraced Islam in the period of the prophet. Omar 1 forced this tribe to go to Iraq instead of Al-_Sham, and gave them the quarter of Al- Saw ad. Then they prohibited from that quarter by given money as reward that made them against omar1.

This tribe assisted the forth rightly guided caliph, Ali, in Iraq against the shames because they were the adherents of Othman besides that Othman neglected them in spite of their efforts in Qadisiya battle.

Bajila assisted any movement that was against the Umayyad caliphate.

Islam managed Bajila to unite with each while they were separated among the other Arab tribes, which made the tribe very weak, so one of the Azd tribe managed to guide one of her branches.